

الشرق كما يراه الغرب :

الصين الجديدة

للاستاذ أحمد أبو زيد

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

ليست الديمقراطية مجرد نظام صوري من نظم الحكم تفرضه الدولة على رعاياها وتنتحلها اسيااسة أمورها ؛ بل الديمقراطية شئ ، أبعد من ذلك ، إذ أنها تعتمد في أصلها على مزاج الشعب ذاته وعلى طبيعته وعلى مدى استعداده لتلقى ذلك النظام وقبوله ؛ أو بقول آخر يتوقف نجاح الديمقراطية على مدى رغبة الشعب وميله إلى الاتحاد والتعاون والتضامن فيما بينهم ، وعلى مقدار قابليته لتأليف الجماعات التعاونية المختلفة ؛ بحيث يكون الناس أقدر على التضامن والتعاون فيما بينهم بروح سححة يكون الأمل في قيام الديمقراطية كبيرا . ومن هنا تنتقل السيدة جالبريت إلى دراسة الحركات التعاونية في الصين لترى مدى نجاحها ... وهي تعتقد أن الصينيين يميلون بطبعهم إلى التعاون والتآزر ؛ فقد ظهرت منذ أقدم العصور أنواع شتى من الزمر والهيئات والجمعيات التي تقوم في أساسها على التعاون مثل جماعات المائلات (ويتألف كل منها من مائة عائلة) وغيرها . فالهيئات التعاونية نشأت إذن في الصين منذ أمد بعيد واتخذت صوراً مختلفة وأغراضاً متفاوتة أشد التفاوت . وقد قامت الحكومة الصينية في عام ١٩٣٥ بإحصاء عام لحركات التعاون فزادت الجمعيات هناك على مائة ألف جمعية تعاونية ، ولا تزال الحكومة المركزية تولى حركة التعاون جانبا كبيرا من اهتمامها .

وقد خططت الحركة التعاونية في الصين خطوة جبارة منذ عام ١٩٣٨ ، بعد ظهور جمعيات التعاون الصينية للصناعة : Chinese Industrial Cooperatives وما لاقته من نجاح واسع سريع . وقد انبثقت فكرة هذه التعاونيات في أذهان بعض الصينيين ممن لهم سابق خبرة بالتعاون لأول مرة في أغسطس من عام ١٩٣٨ ، إذ أدركوا أنه لا مندوحة لهم — أمام

التوغل اليابانى - عن إعادة تنظيم موارد الصين واستخدام كل القوى فيها حتى يمكن تمويض ما فقدته البلاد من المراكز الصناعية الرئيسية التى دمرتها الحرب . وبدأت تلك الجماعة من الخبراء عملها بتقسيم الصين إلى مناطق ثلاث ؛ فالمنطقة الأولى زاروا منها كل وسائل الإنتاج وجميع المصانع حتى لا تقع فى أيدي الأعداء ، وخصصوا المنطقة الثانية لقيام بعض الصناعات الخفيفة التى يمكن نقلها بسهولة وسرعة إذا حدث ما يستدعى ذلك . أما المنطقة الثالثة - وهى فى وسط الصين حيث تكون بعيدة عن متناول الأعداء - فقد تركت فيها كل الثروة الصناعية لإنتاج ضروريات الحرب . وقد نتج عن ذلك التنظيم الجديد لمواجهة حاجات الحرب وأخطارها أن انضم كثير من المصانع بعضها لبعض واندجت مما وبذلك أمكن إيجاد تعاونيات لصنع الملابس الصوفية والزجاج وديبج الجلود وتكرير السكر والطباعة وغير ذلك . ولما كانت الصين تنقصها الأيدي العاملة وخاصة بسبب الحرب التى تستنفد معظم العمال المدربين فإن الصناعة الآن تعود على المهاجرين المدنيين وعلى الجنود الجرحى ؛ ولا شك أن هؤلاء تنقصهم الخبرة والدربة ولذلك بنيت مدارس تعاونية لتدريبهم على العمل ، كما أنشئت لهم وحدات علاجية تعاونية ؛ بل وأفضل من ذلك إنشاء مدارس تعاونية لتعليم أطفالهم على نفقة أصحاب المصانع . وهكذا تنتهى السكينة إلى أن هذه الحركة التى أظهرتها ضرورة مواجهة أخطار الحرب قد عادت على الصين بخير عظيم ، وهى ترى أن هذه الحركة سوف تؤدى فى نهاية الأمر - إن لم تتدخل الحكومة فيها وإن لم تدب الخلافات ويستبد الطمع مرة أخرى بأصحاب المصانع - إلى نوع من الاشتراكية الصحيحة المألوفة .

ولكن مهما يكن من أمر التقدم الصناعي في الصين
ومستقبله ، فإن مشكلة الصين الأساسية لا تزال — ولن تزال —
تتجسّد في الميدان الزراعي . فالصين بلد زراعي قبل كل شيء ،
وسوف تظل هكذا أبداً ، والصينيون أنفسهم يبرفون ذلك ،
ولذا ظهرت حركة جديدة قوية هي بمثابة رد فعل لانصراف
الناس إلى الاشتغال بصناعة الحرب ، وهي تدعو إلى العودة إلى
الأرض التي تقوم فيها حياة الصين كلها ، والحكومة ذاتها

أشيع الوسائل التابعة في الصين لذلك تنظيم سلسلة من الدروس القصيرة في المدن تجبر الدولة الناس على الاستماع إليها ؛ إلا أن هذه الدروس القصيرة تنتهي سريعا ، وهي وإن كانت تعلم الناس بعض العلم وبعض القراءة إلا أن الكتابة تشكل في أن لها قيمة جدية لأن ما يتعلمه الإنسان سريعا دون أن يبذل فيه جهدا كبيرا ينساه سريعا أيضا ...

وفي الصين مشروع ضخم الآن يرى إلى إنشاء مدرسة واحدة لكل جماعة تتألف من مائة عائلة ، وذلك في بحر خس سنوات ؛ وسوف تقوم تلك المدارس بتعليم الصغار والكبار على السواء - ما بين الخامسة عشرة والخامسة والأربعين - القراءة والكتابة . والأمل أن يفلح هذا المشروع في القضاء على الجهل تماما في الصين .

ولكن من ناحية أخرى نجد في غرب الصين حركة فكرية ناهضة تنمى معها ثورة صناعية قوية يقوم بهما الشباب التعلم المثقف . وتشبه السيدة المؤلفة هذه الحركة الناشئة بحركة النهضة الأوروبية (الرينسانس) وقد كان الدافع الأول عليها هو الحرب اليابانية أيضا ؛ فقد اضطرت الجامعات من جراء النزو الياباني للصين أن تتقهقر من أماكنها في المدن الكبرى إلى المدن الصغيرة في غرب الصين تاركة وراءها كل آلاتها الفنية ومعامل الأبحاث التي كان الطلبة يتعمنون فيها ، ومكتباتها الراخرة بالكتب ، وعلى ذلك كان يتعين على الطلبة أن يعتمدوا في حياتهم العملية الجديدة على مجهوداتهم الخاصة ، وقد أحدث ذلك بلارب انقلابا هائلا في طرق التعليم الجامعي ومناهجه ومادته أيضا ، وبدلا من أن يدرس الطلبة تلك المعلومات التي كانوا يقرأون عنها في الكتب الأوروبية ، وبدلا من أن يقوموا بتجاربهم العلمية في معاملهم المدرسية الصغيرة نزلوا إلى ميدان الحياة والواقع وذهبوا للعمل والدراسة في المصانع والمعامل والحقول ، وبذلك أصبحت المناهج أقرب إلى الواقع وترى إلى أهداف ونتائج واقعية . ولا ريب أن الصين سوف تفيد كثيرا من جراء هذه النزعة الواقعية العملية في التعليم ، وسوف يساعدها ذلك إلى حد كبير على حل مشكلاتها .

إن الصين تبذل الآن بنير شك بمجهودات جبارة في سبيل

لا تألو جهدا في العمل على تحسين حال الزراعة وحال الفلاح ؛ وهي تنفق في ذلك عن سخاء حتى في أيام الحرب ؛ وترجو أن يعود عليها ذلك بالخير . وقد أنشأت الحكومة مدارس زراعية تجريبية ومحطات للبحث - بلغ عددها الآن خمسا وعشرين مدرسة ومحطة - وكل غرضها هو إقامة التجارب لتحسين إنتاج الأرز والقمح والشعير وحفظها من الأوبئة والآفات . كذلك تعمل الحكومة - عن طريق الجمعيات التعاونية الزراعية - على تحسين حال الفلاح ورفع مستوى العيشة في القرى على العموم . ولكن كل تلك الجهود لم تأت حتى الآن بالثمرات المنشودة ... ولعل ذلك يرجع أولا وأخيرا إلى طبيعة الفلاح نفسه ؛ فالفلاح الصيني - كأى فلاح آخر - محافظ بطبعه على القديم وعلى الوسائل التي اعتادها وورثها عن آبائه ، فليس من الأمور السهلة الميسرة إقناع الفلاح بأن ينبذ وسائله المتبعة وأن يأخذ بتلك الوسائل والآلات الحديثة التي تحاول الجمعيات التعاونية ومدارس التدريب نشرها بين الفلاحين ؛ وإن كان ذلك لا يمنع من أنه سوف يحبى اليوم - قرب أو بعد - الذي يحمل فيه تلك الوسائل الحديثة محل الوسائل القديمة التي ترجع لأربعة آلاف عام مضت .

ولكن لا يمكن للصين ولا غيرها من الأمم أن نجني ثمار ما تقوم به من الإصلاحات المختلفة وأن تصل إلى ما ينبغي لنفسها من حياة سعيدة راقية ما دام شعبها يرسف في أغلال الجهل ، فكل حركة يراد بها الإصلاح ، وكل تحسين يدخله المصلحون على أى مظهر من مظاهر الحياة سوف يكون عبثا ، ولن يتأصل في الدولة ما لم يتعلم الشعب أولا ؛ فحاربة الجهل والقضاء عليه ونشر التعليم بين الناس هو أول ما ينبغي للدولة أن تأخذ نفسها به إن أرادت لنفسها رقيا . واقد شمعت الصين بما يهددها من جراء الجهل الفاتى بين الناس ، فأتخذت وسائل كثيرة شتى للقضاء عليه ، وقد أفلح بعض تلك الوسائل والبعض الآخر لم يفد شيئا مذكورا . ولا شك أن القضاء على الجهل في بلد واسع كثير السكان كالصين يعتبر من أشق المهام ؛ ولكن الدولة بذلت مع ذلك الكثير من الجهد والمال لتحقيق تلك الغاية . ومن